

أثر القرآن الكريم في استدلال المتكلمين دلالة الشاهد على الغائب في إثبات بعض الصفات الإلهية نموذجاً

د/ محمد مصطفى
أستاذ محاضر قسم " ب " بكلية الحقوق
جامعة الدكتور يحيى فارس - المدية -
mostmed2@gmail.com

Résumé :

Vu l'importance de la croyance et son influence sur le devenir de la vie humaine, le coran a consacré un espace immense pour traiter la question de la divinité et l'affirmation de son unicité. Cette dernière était établie sur des fondements de preuves et des arguments solides après avoir interrogé la raison humaine concernant les apparences de l'univers et ses aspects les plus diversifiés et si on considère que cette réflexion rationnelle est un croisement commun entre tous les être humains, les apparences et les phénomènes naturels étaient le sujet à discuter adéquat avec les polythéistes en s'appuyant sur la logique d'argumentation et de la démonstration et cela se fait sur deux niveaux :

- Le premier niveau : l'abolition de la croyance à plusieurs dieux.
- Le deuxième niveau : l'affirmation de la croyance à un seul dieu unique.

De plus, les penseurs de l'Islam ont adopté ce chemin coranique comme un moyen pour parler de la croyance à l'unicité divine car toutes les créations qui se trouvent dans cet univers affirment l'existence d'un seul dieu doté d'une sainteté incomparable et d'une perfection absolue, et ils étaient influencés par plusieurs des conceptions inspirées du coran en particulier en ce qui concerne le sujet de la démonstration des caractères et son rapport avec dieu le plus puissant .

Alors le principe de persuasion sera fondé à partir de la confirmation du sujet des caractéristiques divines à travers les preuves qui affirment la réalité de la croyance par l'emploi des phénomènes spatiales et les émotions qui caractérisent l'homme et avec lesquels la raison humaine réagit d'une manière périodique et continue.

ملخص:

نظراً لأهمية الإيمان وأثره على مصير الحياة البشرية، نجد أن القرآن الكريم قد خصّص فضاءً واسعاً عرض فيه مسألة إثبات الألوهية وتوحيدها؛ هذه الأخيرة قامت على أسس من البراهين والدلائل عند مخاطبة العقل الإنساني، انطلاقاً من مظاهر الكون وصوره المتعددة، باعتبار أن هذه المخاطبة تُعدّ تقاطعاً مشتركاً بين بني البشر؛ فكانت المظاهر الكونية أقرب في محاوره المشتركة والتعامل معهم بمنطق البرهنة والاستدلال؛ وذلك على مستويين: المستوى الأول: إبطال عقيدة الإشراك، . المستوى الثاني: إثبات عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، وبما أن الموجودات أو المخلوقات دالة على وجود خالقٍ واحدٍ، مُتَّصِفٍ

بكل كمالٍ وقُداسةٍ، اتخذ مفكرو الإسلام هذا النهج القرآني وسيلةً عند حديثهم عن عقيدة التوحيد، متأثرين بكثيرٍ من مفاهيمه، خاصةً في مسألة إثبات الصفات وعلاقتها بالذات الإلهية؛ فيتأسس مبدأ الإقناع عند إثبات هذا الموضوع ، من خلال إقامة الدلائل المُبرهنة على حقيقة الإيمان، وذلك بتوظيف المشاهد الكونية والظواهر المحسوسة المنطبعة على الخلق، والتي يدركها العقل البشري ويتفاعل معها بشكل دوري ومتواصلٍ.

توطئة :

كان للمدارس الكلامية إبان بروزها في العصور الإسلامية الأولى، أدواراً عدّة رامت من خلالها الدّود والدّفاع عن العقيدة الإسلامية، موازنة مع الرّد على أصحاب الملل و النحل المختلفة، و ذلك من خلال تقرير حقيقة الإيمان، بدءاً من الحديث عن التوحيد الخالص، ثم إثبات الذات الإلهية المقدّسة و المنزهة عن كل نقص أو عيب، وحتى يتم التأسيس لمفهوم التنزيه، نجد أنّ علماء الكلام قد استقرغوا جهودهم في هذا المنحى مستخدمين تصوّرات العقل في ترتيب مكونات إحدى أهم البراهين ممثلةً في دلالة الشّاهد على الغائب، وهو ضرب من القياس الموظّف في مسائل العقيدة.

أهميّة البرهان في الخطاب القرآني:

جعل القرآن الكريم حديثه في موضوع العقائد وخاصة مسألة التوحيد حديثاً قائماً على منهج المحاوره باستصحاب الدليل والبرهنة على الدّعوى بالحجة المقنعة ، ومن ذلك مطالبة المدّعين من الكفرة بإقامة حجّتهم على تعدّد الآلهة فقال سبحانه وتعالى : {إِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (1)، فبعدما أورد النص القرآني صوراً ونماذج متعددة لمظاهر الكون من خلق للسموات وإنزال للغيث وجريان للأنهار ... عطف بهذه الآية مطالبا المشركين بإيراد بينة أو حجة على أن الأوثان المصنوعة بأيدي البشر قادرة على الخلق والتصوير مثل ما يفعله المولى تعالى، (2) ، ويؤكد الخطاب القرآني هذا النهج حتى على مستوى الدعوة النبوية عند مخاطبة الكفرة فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ ، بوجوب سلوك هذا المسار و مطالبة أقوام المشركين باستحضار دليل واحد يحتجون به على كفرهم ،وعنادهم ،فقال جل شأنه :{ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ} (3).

إنّ أهمية البرهان في الخطاب القرآني لا تقتصر على محاوره مدّعي الكفر بسوق دليلهم على معتقدهم في الحياة الدنيا فحسب ،بل يتعداه إلى يوم القيامة أيضا ، ففي ذلك الموقف الرهيب يطالبهم الباري سبحانه وتعالى مرة أخرى بالحجة على دعواهم في الشرك فيقول عز من قائل : {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (4) وعليه إذا كان الذكر الحكيم يدعو في نصوصه بوجوب الاستدلال عند إقامة الدعوى ، أو اتخاذ موقف ما ، فإنه بالمقابل يبين زيف عقائد المشركين بوضع الدليل المقنع أمام العقل البشري ، ولهذا كانت آيات القرآن الكريم تنرى في نزولها على قلب النبي ﷺ هادمة لعقيدة الشرك بأدلة كونية تنبّه العاقل الى بطلان هذا المعتقد وتهافته.

دلالة الشاهد على الغائب عند المتكلمين :

إنّ أهميّة هذا الدّليل أو القياس في عرف المتكلمين راجع إلى كونه مستمداً ومستلهما من القرآن الكريم (5)، حيث وردت آيات عديدة، كالتّي تتحدّث عن نعيم الآخرة وعذابها و ذلك من خلال الإشارة لما في الحياة الدّنيا من الملذّات والآلام

التي ترافق حياة البشر و تُسائر يومياتهم، وقد حوى القرآن الكريم جُملاً من الأمثال الهادفة لتقرير المقصود بناء على تشبيه الخفي بالجلي، و الشاهد بالغائب⁽⁶⁾ فكان القرآن يُعرّف البشر بما يحتاجون إلى إدراكه من حقائق لها وجود في عالم الشهادة كأحوال المعاد و البعث⁽⁷⁾ و في هذا المقام نجد أنّ أشهر الحجج البرهانية في القرآن الكريم تمثّلت في قياس إعادة الخلق على بدئه لأنّ القادر على بدء الخليقة قادر بالضرورة على إعادتها بعد فنائها وزوالها⁽⁸⁾، والنموذج على ذلك قوله تعالى: {وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ }⁽⁹⁾ فهذا النص يوجّه العاقل إلى الإقرار بكمال القدرة الإلهية على إحياء و بعث الأموات، قياساً بالأمر المشاهد في الحياة الدنيا وهو خروج النار الحارة من الشجر الأخضر الرطب، هذا الأخير يُعرف باسم المَرْخ و العَفَّار و بهما كانت قبائل العرب تُوقد النار⁽¹⁰⁾، فالمولى تعالى قادر على إخراج الصّد من الصّد، و هو دليل على صحّة القياس في الردّ على منكري مسألة البعث و النشور يوم القيامة⁽¹¹⁾ و لما كانت ظواهر الكون المشاهدة لساناً ناطقاً بحقائق غيبية كالبعث ووجود المولى عزّ وجلّ، المتّصف بكلّ كمال و قداسة، نجد أنّ متكلمي المعتزلة الأوائل قد أنكروا بشدّة على كلّ من ادّعى أنّ السماوات و اختلاف الليل و النهار ... لا دليل فيها على إثبات الباري سبحانه وتعالى⁽¹²⁾، و هذا الموقف يوضّح مدى قيمة و أهميّة هذا الدليل و أثره في تقرير مسألة الإيمان بوجود الخالق تعالى، و كلّ ما يتبع ذلك من ضرورة إثبات باقي صفات الكمال للذات الإلهية، والقرآن الكريم قد تضمّن كثيراً من هذه الأمثلة المعروفة بالأقيسة العقلية التي يستدلّ بها على وجود المولى عزّ وجلّ وصفاته العلية⁽¹³⁾ فالمثال القرآني لون من ألوان الهداية والإرشاد يهدف لتحقيق صفة الإيمان في النفس البشرية⁽¹⁴⁾، ممّا يدلّ على أنّ هذا الضرب من الخطاب بدلالة الصّور المشاهدة على حقائق الغيب، منهج أصيل في الوحي الإلهي مغزاه رفع حجاب الجهالة عن العقل و كلّ ما يعوق إقناعه أو يحول بينه و بين مسألة الإيمان، هذا الهدف مُتحقّق فعلاً في الأدلّة و الأقيسة القرآنية المتّسمة بالوضوح و الجلاء، فكانت مقنعة للعوام و الخواص من النّاس على حدّ سواء⁽¹⁵⁾.

إنّ الشّاهد لدى المتكلمين مبرهن على وجود الغائب، و مُثبت له، فبه يتعدّى المتكلمون إلى الحديث عن حقائق الغيب و مسأله، و يبرّر قاضي القضاة عبد الجبار⁽¹⁶⁾ هذا التوجّه بقوله: "لأنّ طرق الأدلّة لا تختلف شاهداً و غائباً"⁽¹⁷⁾ و بما أنّ علماء الكلام يمثلون فرقا دينية في أساسها⁽¹⁸⁾، فإنّهم بلا ريب سينهجون طريق إثبات المسلّمات العقائدية، منطلقين في ذلك من إيمانهم بوجود المولى تعالى و وحدانيته، مع الاجتهاد في استحضار الأدلّة المعصّدة لحقيقة الإيمان⁽¹⁹⁾، من مبدأ أمانة المخلوق بكلّ صوره و كائناته على ثبوت الخالق، لأنّ هذه الدلالة بذاتها هي أوضح و أجلي الدلالات، بسبب إقامتها لعلاقة التلازم القطعي و هو أنّ الموجود مفقود و محتاج لمن أوجده، فيلزم بالضرورة من وجوده وجود الصّانع قطعاً⁽²⁰⁾، و عليه سيكون بلا ريب قياس الغائب على الشّاهد طريقاً معوّلاً عليه في الحديث عن صفات الباري عزّ وجلّ و إثباتها، و ما اهتمام المتكلمين بموضوع الصّفات الإلهية و منهج إقرارها، إلّا كونها تمثّل العمدة و الأساس عند أهل التّوحيد⁽²¹⁾ و عليه لا يستقيم بحال من الأحوال تصوّر الوحدانية الخالصة، إلّا إذا اقترنت بموضوع الصّفات الإلهية إثباتاً وتنزيهاً فكلّا الموضوعين متلازمين لا فصل بينهما ولا افتراق.

لعلّ من أهمّ الصّفات النّموزجية التي طرقها علماء الكلام في سياق حديثهم عن الذات الإلهية إثباتهم للقدرة و العلم و الحياة و الغنى المطلق لله تعالى سندهم في ذلك دلالة الشّاهد على الغائب في تحقيق هذا الإثبات و البرهنة عليه على النّحو التّالي:

• إثبات صفة القدرة الإلهية :

إنَّ الله عزَّ وجلَّ متَّصف بالقدرة فمن أسمائه العليَّة القادر و المقتدر ⁽²²⁾، : "و هو الذي يفعل بالقصد و الاختيار" ⁽²³⁾، و هذه الصِّفة لدى علماء الكلام تُعدُّ أساسا و جوهرًا في إثبات وجود المولى تعالى، بدليل صحَّة الفعل الإلهيِّ المُوجد للكون وأعراضه ⁽²⁴⁾ فوجود الكون الثَّابت بالمشاهدة دليل في صدوره عن الموجود القادر الذي أوجده بقدرته، و فيما يتعلَّق بقياس الغائب على الشَّاهد لإثبات صفة القدرة الإلهية نجد أنَّ المتكلِّمين ربَّتوا دليلهم على هذا النِّحو:

- صحَّة وقوع الفعل من شخص سليم و عدم وقوِّعه من شخصٍ معتلٍّ.

. إنَّ تمكَّن الأوَّل من الفعل دون الثَّاني لا يرجع إلَّا لصفة ممَيِّزة بينهما و هي كون الأوَّل قادرا و الثَّاني عاجزا ⁽²⁵⁾.

و بهذه المفارقة بين ذاتين في عالم الشَّهادة، يُعبَّر المتكلِّمون بمصطلح الاختصاص، وهو كون الذات السليمة الفاعلة مختصة بمعنى وهو القدرة على الفعل دون الذات العليَّة ⁽²⁶⁾، ومن خلال هذا القياس يثبت علماء الكلام صفة القدرة للذَّات الإلهيَّة بتوظيف دليل مُشاهد محسوس ومعهود في حياة البشر، حيث يتمكَّن الإنسان القادر مما يعجز عنه غيره من المعتلِّين، فيكون المعنى الفارق بين الطَّرفين هو ثبوت القدرة كمعنى مؤثِّر و مُوجد للفعل، والقرآن الكريم قد أشار لهذه الصِّفة في عدَّة مواضع عندما يعدّد صور الكون و مظاهره كقوله تعالى : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.} ⁽²⁷⁾ ففي هذه الآية الكريمة دعوة للنظر العقلي صوب هذه الموجودات للاتِّعاض بها: "لأنَّها دلائل على عظيم القدرة و باهر الحكمة" ⁽²⁸⁾ و بالتالي تبقى الظواهر الكونية شاهدة و ناطقة بثبوت صفة القدرة الإلهية الكاملة و ذلك من منطلق صدورها عن موجد مقتدر، ممَّا يضطرُّ الإنسان العاقل إلى التَّسليم بهذه الحقيقة، لأنَّه يرى في الشَّاهد امتناع صدور السماوات و الأرض عن الموتى والعجزة ⁽²⁹⁾، ويبقى استحقاق صفة القدرة للمولى تعالى، استحقاقا مطلقا، بيد أنَّ المخلوق إذا ثبتت فيه القدرة مثلا، فهي ناقصة معتلَّة و محدودة، و لهذا نبه العلماء إلى أنَّ قياس الشَّواهد في باب الصِّفات يكون قياسا بالأولى، بمعنى أنَّ ثبوت صفة كمال ما للمخلوق تكون ثابتة للخالق عزَّ وجلَّ و لكن من باب أولى ⁽³⁰⁾، و بهذا يستبين أنَّ الصِّفات الإلهية مستحقَّة له على سبيل الأولوية و الكمال المطلقين، لأنَّ الباري تعالى لا ندَّ له و لا نظير، و هذا هو جوهر التَّوحيد الخالص النَّافي لكل صور الشُّرك أو المشابهة لله عزَّ وجلَّ، القائل في محكم تنزيله : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ⁽³¹⁾.

• إثبات صفة العلم الإلهي:

إنَّ المولى تعالى متَّصف بالعلم، و هذه الصِّفة قد وردت إثباتا له في مواضع عدَّة من سور القرآن الكريم، و ميزة العلم الإلهي أنَّه علم ممتنع الزَّوال غير متناه، خلافا لعلم العباد ⁽³²⁾، فهذه الصِّفة ثابتة في جنب الله عزَّ وجلَّ و جوبا، ذلك أنَّها صفة كمال تنفي ما يُضادُّها من الجهل.

واستدلالا على هذا الثَّبوت يستهلَّ المتكلِّمون حديثهم عن صفة العلم الإلهي من منطلق تناظم أجزاء الكون و تناغم حركاته وفق قانون محكم لا محيد عنه، فدلَّ هذا الإحكام على أنَّ الباري سبحانه و تعالى عالم ⁽³³⁾، و هذا ما يتقرَّر في عالم الشَّهادة، باستحضار قياس قائم على مقدِّمتين و نتيجة لهما على النِّحو التالي:

- صحَّة وجود قادرين من البشر في الشَّاهد.

- أحدهما صحَّت منه الكتابة و الثَّاني تعذَّرت عليه كالأمي.

فتكون النتيجة: أنَّ القادر على الكتابة دون الأمي، راجع لثبوت صفة العلم فيه دون الآخر⁽³⁴⁾.

بهذا الاستدلال يفترق العالم عن الجاهل في مسألة استحقاق صفة العلم و توفرها فيه، فيتأكد بهذا القياس أنَّ المولى تعالى لما كان مقتدرا على إبداع هذا الكون، و تصريف شؤونه ... كان بالضرورة عالما مطلقا على كلِّ خباياه و جزئياته سواء في حركاتها أو سكونها.

• إثبات صفة الحياة :

إنَّ الحياة صفة للذَّات الإلهية، أثبتها القرآن الكريم في عدَّة آيات، كقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (35) و قوله أيضا : {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} (36) فالحياة أيضا صفة كمال تنفي ما يقابلها أو يضادها من النقص و هو الموت و الفناء، فوردت على سبيل المدح، و هو أنَّ المولى سبحانه حي لا يموت خلافا للخلائق⁽³⁷⁾، وعند المتكلمين يمكن إثبات هذه الصِّفة بقياس مُشاهد، و ذلك من خلال الاستدلال بالقدرة أو العلم، على كون الباري سبحانه و تعالى حيَّا و ذلك بوضع أصليين :

- الأول : أنَّ المولى تعالى عالم و قادر .

- الثاني: أنَّ العالم القادر لا يكون إلَّا حيَّا .⁽³⁸⁾

و للبرهنة على صحَّة هذين الأصلين يُستحضر دليل الشاهد مما يُرى و يُعهد في الكون و يُرتَّب على النحو

التَّالي:

- وجود ذاتين إحداها صحَّت منها القدرة و العلم كذوات البشر .

- و الثانية لم يصح منها ذلك كالجمادات .

- فينتج أنَّ الفارق بينهما في حكم العقل أنَّ الذَّوات الأولى حيَّة دون الثانية⁽³⁹⁾

و بهذا القياس الكلامي، يتلخص أنَّ الحياة صفة مميزة لجنس من الموجودات، كالنَّسْر مقارنة بالجمادات، و جوهر الحياة مقترن بصفتي العلم و القدرة، فهما معا يتحقَّق هذا التَّصوُّر المراد، و هو قيام صفة الحياة و ثبوتها عقلا، بناء على ما هو محسوس و مُشاهد في الحياة الدُّنيا.

• إثبات صفة الغنى الإلهي:

لقد وصف الله عزَّ وجلَّ ذاته العليَّة بالغنى المطلق في عديد من الآيات القرآنية، كقوله سبحانه: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (40) وهذه الصِّفة مقترنة بلفظة الجلالة، تكرر ورودها نحو ثمان عشرة مرَّة [18] في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم⁽⁴¹⁾، ومفهوم الغنى الإلهي عند المتكلمين هو أنَّ المولى عزَّ وجلَّ لا تجوز عليه الحاجة بأيِّ حال من الأحوال⁽⁴²⁾، فهذه الصِّفة صفة كمال في حقِّه سبحانه، و هي أزلية لا تتفك عنه أبدا، و للبرهنة على ثبوتها في الذَّات الإلهية يحزِّر المتكلمون دليلهم على شكل مقدِّمات تعقبها نتيجة، على النحو التَّالي:

- إنَّ الحاجة لا تقع إلَّا على من جازت عليه الشَّهوة و النَّفَّار .

- الشَّهوة و النَّفَّار تقعان على من تطرأ عليه الزَّيادة و النَّقصان .

- الزَّيادة و النَّقصان تطرآن على الأجسام فحسب، و الله تعالى ليس بجسم .

- النتيجة : نفي وقوع الحاجة عليه أصلاً، فوجب كونه تعالى غنياً.⁽⁴³⁾

و بهذه الدلالة يتقرّر لدى المتكلّمين مفهوم الغنى الإلهي المطلق، و ذلك من خلال نفي الجسميّة عن الذات الإلهيّة الكاملة، و في نفس الوقت عزو النقص للأجسام التي تعترضها صور التغيّر و التبدّل المشاهدة في الكون، وعليه تبقى صفات المولى عزّ وجلّ من قدرة و علم و حياة و غنى مختصة بمعنى الكمال المطلق و المنزّه، لأنّها تُعبّر عن حقيقة الوجدانية، كما أنّ المخلوق حتّى و إن وُصف بالقدرة أو العلم فإنّ ذلك لا يُطلق إلّا بما يناسب و يوافق حالته من عجز و فناء وهذا تابع لما بين الذات الإلهيّة و باقي الدّوات من التّباين و المخالفة⁽⁴⁴⁾، والمولى سبحانه يقول في محكم تنزيهه: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ⁽⁴⁵⁾، فصدق الله العظيم الذي تقرّد بكل كمال، و تنزّه عن كلّ نقص، جلّت أسماؤه، و عظمت صفاته.

خاتمة:

لما كانت مسألة الإيمان جوهر هذه الحياة، وحقيقتها الثابتة، نجد أنّ نصوص القرآن الكريم قد اهتمّت بإرساء عقيدة التّوحيد الخالصة، وذلك من خلال مخاطبة العقل البشري بأدلة واضحة مفهومة، كدلالة الشّاهد على الغائب في البرهنة على البعث والنّشور، وعلى نسق هذه الدّلالة القرآنية المستمدّة من عالم الشّهادة في إثبات مسائل الغيب، درج علماء الكلام في ترتيب أقيستهم وبراهينهم عند حديثهم عن مسألة الصّفات الإلهيّة، وإثباتها من منطلق ما هو مشاهد ومعتاد في الحياة الدّنيا، فكان عملهم في هذا المجال مستنداً في مرجعيته إلى الوحي المتلوّ، ألا وهو القرآن الكريم، الذي أحكمت آياته، واتّضحت للعقل السّليم بيّناته، وبراهينه، وهذا وجه من أوجه التّأثير والتّفاعل مع كتاب الله عزّ وجلّ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الهوامش

- (1) سورة النمل: آية 64
- (2) هود بن محكم الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق وتعليق ، بالحاج بن سعيد شريفي ، ط1 ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990) 3: 261 ، 262.
- (3) سورة الأنبياء، آية 24.
- (4) سورة القصص، آية 74، 75
- (5) د/ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، (دمشق، دار الفكر، 1988) ص43.
- (6) محمد الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 (بيروت، دار المعرفة، دت) 1: 488.

- (7) محمد بن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق، محمود قاسم، ط2 (مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964) ص193.
- (8) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، ط7 (دمشق، دار القلم، 2004) ص298.
- (9) سورة يس، آية، 77، 80.
- (10) محمد بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق، أحمد صقر (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1958) ص368.
- (11) محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1946) 15: 58، 59.
- (12) عبد الزحيم الخياط، الانتصار و الرد على ابن الروندي الملحد، تحقيق، د/ه، س، نيبرج (القاهرة، مطبعة المكتبة المصرية، 1925) ص57.
- (13) أحمد بن تيمية، الرسالة التدمرية في التوحيد و الأسماء و الصفات و القضاء و القدر، (الجزائر، شركة الشهاب، دت) ص66.
- (14) د/ فؤاد علي رضا، من علوم القرآن، ط1 (بيروت، دار اقرأ، 1988) ص152، 153.
- (15) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم بيروت، المكتبة العصرية، 1988) 4: 52.
- (16) قاضي القضاة عبد الجبار: هو أبو الحسين عبد الجبار الهمداني الأسد أبادي، من أبرز مؤلفاته: المغني في أبواب التوحيد و العدل، و كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن...، توفي بالري سنة 415هـ/1025م، يعدّ من الطبقة الحادية عشرة لدى المعتزلة. (انظر الحاكم الجشمي، شرح عيون المسائل، ضمن كتاب فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة، تحقيق، فؤاد السيد، ط2، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 365، خير الدين الزركلي، الأعلام، ط2، القاهرة، مطبعة كوستانتسوماس، 1954) 4: 74.
- (17) عبد الجبار الهمداني، شرح الأصول الخمسة، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990) 1: 94.
- (18) عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، ط2 (بيروت، دار الكتاب اللبناني، دار المدرسة، 1982) ص115.
- (19) د/محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط2 (بيروت، دار النهضة العربية، 1973) ص134.
- (20) أحمد بن تيمية، كتاب الرد على المنطقيين، نشر، عبد الصمد شرف الدين الكتبي، (بمباي، المطبعة القيّمة، 1949) ص 165.
- (21) عبد الملك الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ترجمة، ج، د، لوسيان (باريس، المطبعة الدولية، 1938) ص36.
- (22) فخر الدين الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، مراجعة و تقديم و تعليق، طه عبد الرؤوف سعد، ط1 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1984) ص321، 322.
- (23) علي الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1995) ص171.
- (24) عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، 1: 93.
- (25) المرجع السابق، 1: 94.
- (26) الشريف المرتضى، شرح جمل العلم و العمل، تصحيح و تعليق، يعقوب الجعفري المراغي، ط1 (طهران، دار الأسوة للطباعة و النشر، 1994) ص 48.
- (27) سورة البقرة، آية، 164.

- (28) محمود الزّمخشري ، الكشّاف، ط1 (بيروت ، دار الفكر ،1977) 1: 326.
- (29) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص36.
- (30) ابن تيمية، كتاب الرّد على المنطقيين، ص150.
- (31) سورة الشّورى، آية، 11.
- (32) الرّازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص 241.
- (33) عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، 1، 98، الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص36، 37.
- (34) عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، 1: 98.
- (35) سورة البقرة، آية، 255.
- (36) سورة غافر، آية، 65.
- (37) الرّازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص306.
- (38) عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، 1: 101.
- (39) المرجع السابق، 1: 101، 102.
- (40) سورة البقرة، آية، 267.
- (41) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1964هـ) ص506.
- (42) عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، 1: 145، الشّريف المرتضى، الذّخيرة في علم الكلام، تحقيق، أحمد الحسيني (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1411هـ) ص587.
- (43) عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، 1: 146.
- (44) د/عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990) ص 203 و ما بعدها .
- (45) سورة النّحل، آية، 17.